

# ١٧ تموز

## تجسيد مفهوم البعث للبطولة

الثورة في قطر. وفي مثل هذا القطر، لاتنفصل عن أوضاع الحزب ولا عن اطارها القومي<sup>(١)</sup> . . .

نظرتي لثورة ١٧ تموز المجيدة، ولتجربة الحزب في العراق، هي النظرة التي تضعهما في سياق المسيرة الكلية للحزب، وضمن اطار الاوضاع والظروف التي تعيشها الامة . . .

بهذه النظرة البعثية، النظرة القومية الحية الشمولية، نتطلع الى ثورة الحزب في العراق . . . وهي نظرة تعبر عن موقف ملتزم، لا يكتفي بالتقييم الموضوعي، والبحث الحيادي المجرد، لاننا نحمل هذه الثورة آامنا وآمالنا القومية. فتفكير البعث، وبالرغم من ايمانه بالعلم، وانطلاقه من الحقائق الموضوعية . . . فان اختياره لطريق الثورة، قد جعله يتطلع دوما الى الحقائق الحية، ويتعامل مع الأشياء والاحداث، تعاملًا معبرًا عن موقف من الحياة، وعن الالتزام بقضية نضالية، هي انبعث الامة في هذا العصر.

ضمن اطار هذه النظرة، كانت تبرز مكانة العراق في حياة الحزب، وكانت علاقتي بحزبنا في العراق، منذ البداية، ذات روابط عميقة. فقد برهن مناصلو الحزب في العراق، منذ الخطوات الاولى على انتماء عميق لفكر الحزب، وعلى جدية ورجولة متميزة. فكتاب (في سبيل البعث) طبع اول مرة عام ١٩٥٢ في العراق، وقد فوجئت به عندما ارسلوه لي. فهم الذين اختاروا المقالات، والاسم.

(١) حديث لجريدة «الثورة» في العيد الثاني لتسلم الراية. والذكرى (١٣) لثورة ١٧ - ٣٠ تموز المجيدة.

ثم اخذ يتوسع في الطبقات اللاحقة .

ولم يمض وقت طويل، حتى اتضح لي انه بالاضافة الى المزايا الذاتية، للمناضلين البعثيين العراقيين،، هناك الظروف الموضوعية للعراق، السياسية والاجتماعية التي كان البعثيون يعملون ضمنها والتي كانت، اكثر ملاءمة من ظروف سورية، لكي تأخذ افكار الحزب مداها الثوري . فأوضاع سورية كانت من حيث تطور الحياة السياسية، ونمو الاحزاب والممارسة الديمقراطية الليبرالية، ملائمة لولادة الحزب، الا انها كانت تدفع بالاتجاه في الطريق نصف الثوري، اذا جاز التعبير.

وهكذا فان الاساس الثوري الاصيل في البعث، الذي كان يتطلع دوما الى ممارسة دوره التاريخي . هو الذي دفعه الى ان ينقذ نفسه من اغراء الانسياق مع الطريق الاصلاحية، الذي كانت ظروف سورية، السياسية، والاجتماعية، تفرضه،، بانه قفز من فوق هذا الواقع، طرح شعار الوحدة مع مصر . وظل متشبثا به، ومصرأ عليه، حتى اصبح حقيقة واقعة .

ومنذ ذلك الحين، وبهذا الانجاز الضخم، الذي ماكان ليتحقق لولا وجود قائد تاريخي فذ هو الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، اصبح البعث وفكر البعث، في قلب القضية العربية وفي صميمها .

وكان التأثير الاكبر لهذه القفزة على العراق، وبالتالي على نضال الحزب في العراق . اذ لم تمض أشهر حتى سقط الحكم الملكي الرجعي المرتبط بالاحلاف الاستعمارية كثمرة اولى لقيام الوحدة بين سورية ومصر .

واتسعت مسؤوليات الحزب في العراق، وبخاصة بعد النكسة التي اصبحت بها ثورة ١٤ تموز، بالانحراف الانفصالي الشعبي الذي مثله حكم قاسم . واصبح نضال الحزب في سورية مرتبطا اوثق الارتباط بنضاله في العراق . فكما ان نجاح الحزب في سورية قد ساهم في اسقاط العهد الرجعي في العراق، وغذى نضال الحزب والفئات القومية ضد حكم قاسم . . كذلك فان نضال البعث في العراق، هو الذي أسهم في انتشار سورية من وهدة الحكم الانفصالي المقيت . وذلك عندما

فجر البعثيون العراقيون ثورة ١٤ رمضان المجيدة.

واستمرت هذه العلاقة بين فرعي الحزب في القطرين. كانت بنية الحزب في سورية، قد عانت كثيرا من الضعف والتمزق، نتيجة حل التنظيم ايام الوحدة، وسوء تطبيق الوحدة في القطر السوري. لذلك لم يقو الحزب بعد (٨ آذار) على منع التسلط، الذي مارسه التكتلات العسكرية والطائفية. وزاد في ضعفه اغتيال تجربة الحزب في العراق في ردة ١٨ تشرين. فكانت السنوات الثلاث حتى شباط ١٩٦٦، سلسلة من الصراعات بين الحزب وبين المتسلطين عليه الذين انتحلوا اسمه ليغيروا معالمه، ويدجنوه، ليصبح اداة مسخرة للحكم.

### مقاومة الخطر

لقد قاوم الحزب التاريخي ذلك الخطر، وتلك الانحرافات مقاومة بطولية. فكان انقلاب ٢٣ شباط فرزاً موضوعياً، لان المتسلطين لم يستطيعوا كسب احد من المناضلين، بل ملأوا بهم السجون التي شهدت البطولات والتضحيات، المعبرة عن روح الصمود والمقاومة العنيدة للانحراف والتسلط، مما جعل الحكم في سورية يعيش، منذ ذلك الحين، في الفراغ المبدئي العقائدي، والعزلة الشعبية، وعقدة فقدان الشرعية.

في حين انصرف الحزب الى إعادة بناء نفسه، محتفظاً بعقيدته كاملة وناصعة، وبتاريخ نضاله المشرق، ومؤمناً بأن المستقبل سيكون لهذه العقيدة ولخطها التاريخي. واستطاعت الروح المبدئية ان تنتصر وان توصل الحزب الى المؤتمر القومي التاسع، الذي يعتبر بحق، بالنسبة الى خطورة ذلك الظرف من أهم المؤتمرات القومية.

وجاءت ثورة ١٧ تموز لتكمل حلقات السلسلة. التي كانت تؤشر باستمرار صعود الحزب فوق ازماته ونحو تحقيق اهدافه التاريخية، ولتنقل نضال الحزب الى مستوى جديد.

في ١٧ تموز، لم نكن مفاجئين. لاننا كنا نعرف قوة تنظيم رفاقنا في العراق، وقوة تصميمهم. فكانت نظرنا الى ثورة ١٧ تموز، تحمل منذ البداية، كل ثقل

الآلام الماضية التي عاناها الحزب في سورية، وثقل الآمال التي يتيحها ايماننا بعقيدتنا، وبعمق تجاوبها مع ضمير امتنا العربية.

والواقع ان ثورة ١٧ تموز، جاءت في لحظة من أخرج لحظات تاريخ الحزب والامة. فكان يتوقف على نجاحها او فشلها، نجاح او فشل الحزب والقضية القومية، لفترة طويلة. وهنا تبرز اهمية القيادة التي استطاعت ان تجمع شتات الحزب، بعد كل ما اصابه من آثار التآمر والغدر، في ردة ١٨ تشرين، وما تبعها من قمع وحشي، تلاوتت عليه اجهزة اكثر من قطر عربي واحد.

هذه القيادة هي التي استطاعت ان تجدد ثقة المناضلين بحزبهم، وعقيدتهم، وبأمكان التغلب على النكسة، وتحقيق النصر على الحكم الرجعي الفاسد. ان هذه القيادة هي التي تشكل العامل التاريخي الذي جعل من ثورة ١٧ تموز قفزة نوعية متميزة في حياة الحزب والامة.

قلنا: بأن ثورة ١٧ تموز أتت في ظرف في منتهى الدقة والحراجة، اي بعد ٢٣ شباط وبعد هزيمة حزيران. والتي حملت دروس وآمال هاتين النكستين. الدروس السلبية، والآمال في التغلب على الهزيمة والنهوض من الكبوة، على اسس جديدة متينة، يكون فيها العقل العلمي المنظم والمخطط، بنفس مستوى الروح الثورية الاصلية المتصلة بروح الشعب وجماهيره الواسعة، وبتراث الامة ورسالتها، وبتطلعاتها المشروعة الى الحياة الجديدة.

وهذا ايضا قد توفر بشكل رائع في شخصية الرفيق القائد صدام حسين، الذي كان مهندس الثورة، قبل ولادتها، والذي استمر في بنائها وقيادة خطواتها وتحقيق الانجازات والانتصارات، بالحكمة والشجاعة معا وبالتعاون مع رفاقه المناضلين حتى بلغت هذا الحد من البناء الصحي المتألق، الزاخر بالحيوية والعطاء، والذي يمثل حالة فريدة نموذجية في الحياة القومية العربية الحديثة، حالة لم يسبق للعرب ان عرفوها او عاشوها، منذ مئات السنين، فهي تعبر عن روح النهضة العربية وعن روح البعث، وهي تمثل حالة تخطي الضعف والعجز والتردد والانقسام، وتمثل السيطرة على النفس وعلى القدرات، واستغلال كل الطاقات، وتحقيق اعلى

حد من الانسجام والمشاركة بين القيادة وجماهير الشعب . واعلى حد من الوحدة، من خلال تجنيد مجموع الشعب لتحقيق اهداف قومية تاريخية .

وكانت المعركة التي يخوضها العراق منذ عشرة اشهر، دفاعا عن ارضه وسيادته وعروبه ووحدة مجتمعه، وبالنيابة عن الامة العربية ايضا، دفاعا عن قوميتها وشخصيتها الحضارية ومستقبل نهضتها، هذه المعركة التي فرضت على العراق، ولكنه لم يتهرب من خوضها، فقد كشفت ان العراق، انما يقوم بعمل دفاعي، وان قيادة العراق كانت واثقة من انها بهذا التصدي للخطر الشعوبي، انما تقوم بواجب مقدس، يندبها اليه تاريخ الامة العربية وضميرها ووعيتها الثوري الحديث . وانها، عندما قبلت المنازلة، كانت واثقة ثقة مطلقة بالنصر، لانها واثقة من البناء المتين السليم الذي هياته لشعب العراق طوال ثلاث عشرة سنة، واثقة من عمق التربية الوطنية والقومية التي قام بها الحزب في اوساط الشعب، وفي كل شرائحه، واثقة من اعداد الجيش وتدريبه، ومن الروح النضالية البطولية التي تميز بها دوما، واثقة مما اضافته الثورة الى ذلك من وعي قومي ثوري ومن روح رسالية وآفاق حضارية هيات الجيش العراقي لان يكون طليعة متقدمة لتحقيق اهداف الامة . .

لذلك فنحن لم نفاجأ بالانتصارات، وبالبطولات الفذة التي تفجرت من خلال المعركة، فهي لو لم تكن معركة عادلة، ولو لم يكن الشعب مقتنعا بعدالتها لما اعطت هذه النتائج الباهرة، على صعيد القتال، وكل الاصعدة الاخرى .

اننا لم نكن نريد هذه الحرب، رغم ثقتنا التامة بقدرتنا على الانتصار . والعراق، منذ الاسبوع الاول وحتى الان، وهو المنتصر دوما، يجدد باستمرار رغبته في السلم، لكي يحشد قواه في مواجهة العدو الصهيوني، العدو الاساس للامة العربية، الذي استغل ظروف الحرب، ليقوم بعدوانه على المفاعل النووي، ويكشف امام العالم اجمع عن الدور الذي انيط به، وهو الوقوف في وجه النهضة العربية الحديثة، والحيلولة دون امتلاك العرب للمعلومات والخبرات التكنولوجية الحديثة التي تساعدهم على استثمار ثرواتهم، وتطوير امكانياتهم والارتفاع الى مستوى المواجهة المتكافئة مع اعداء نهضتهم .

ان البطولات التي تفجرت في القادسية الجديدة، قد خلقت حالة فريدة في الحياة القومية وادخلت عنصراً جديداً على حسابات العدو الاساس للامة العربية، فرأى من خلالها صورة مستقبله، وهي تهتز، وتندثر بالمخاوف، لان تلك البطولات هي بدورها من نوع جديد: انها (البطولة البعثية) التي تتميز بانها مقترنة بالوعي، تتكامل به، وتفتح معه، وتفتح عهداً جديداً، للثورية وللفكر الثوري . .

### البطولة في مفهوم البعث

فالبطولة بمفهوم البعث، هي اساس (الثورية). والوعي في المرحلة الثورية للامة العربية، هو بحد ذاته بطولة. كما ان نشر هذا الوعي الكامل العميق، الوعي الثوري العربي المرتبط بقيم الثورة العربية، واحترام قوانينه، والاخلاص له، هو وجه مكمل للبطولة، ومصحح ومعتمق لها، لانه يطالب نفسه بالمزيد من التفوق، والتجاوز لكل ما من شأنه أن يحد من تعميم البطولة، وخلق مجتمع البطولات. فهذه المعركة قد تحولت الى حقل للابداع البطولي. لانها جاءت نتيجة لحالة ثورية. اقترنت فيها البطولة بالوعي والايمان، فهي حالة ايجابية متكاملة، وليست حالة اندفاع عابر. انها حالة امتلاء وفيض، اعطت دفعا جديدا لعنصر الوعي. كما انها، بحد ذاتها، ثمرة من ثماره.

### تكامل الشروط التاريخية

ان هذه التجربة الصحية، والمعركة الظاهرة، والحالة النادرة، انما هي تعبير عن تكامل شروط تاريخية للدخول في مرحلة جديدة لكي يندفع البعث بكل قوة وعمق على طريق الانبعاث القومي، لكي تسترجع الامة كل قواها، وتصب كل طاقاتها في الطريق الصحيح لتحرير فلسطين، وتحقيق الوحدة العربية، لان هذا هو معيار ثورتها ومبدئيتها وقدرتها على تجديد النضال، والوعي، والارتفاع الى موقع اكثر تقدما في مسيرة النهضة العربية.

فكيف لا اشعر بالسعادة لرؤية تجربة ثورية عربية، تحمل الافكار الاساسية للحزب، وتجمع الى الامانة للفكر البعثي، العبقرية والابداع في فهمه واخصابه وتطبيقه. ولئن جاء الحاضر اروع من الاحلام التي راودتنا في بداية الحزب، فاننا

نؤمن ان امتنا تخبيء في ضميرها وعبقريتها ما سوف يجعل المستقبل اكثر روعة  
وعظمة.

١٧ تموز ١٩٨١